تفســـــير

التحليل الروائـــي لـ

ســـــــورة الفاتحـــــة

عبد الباقـــي يوســـــف

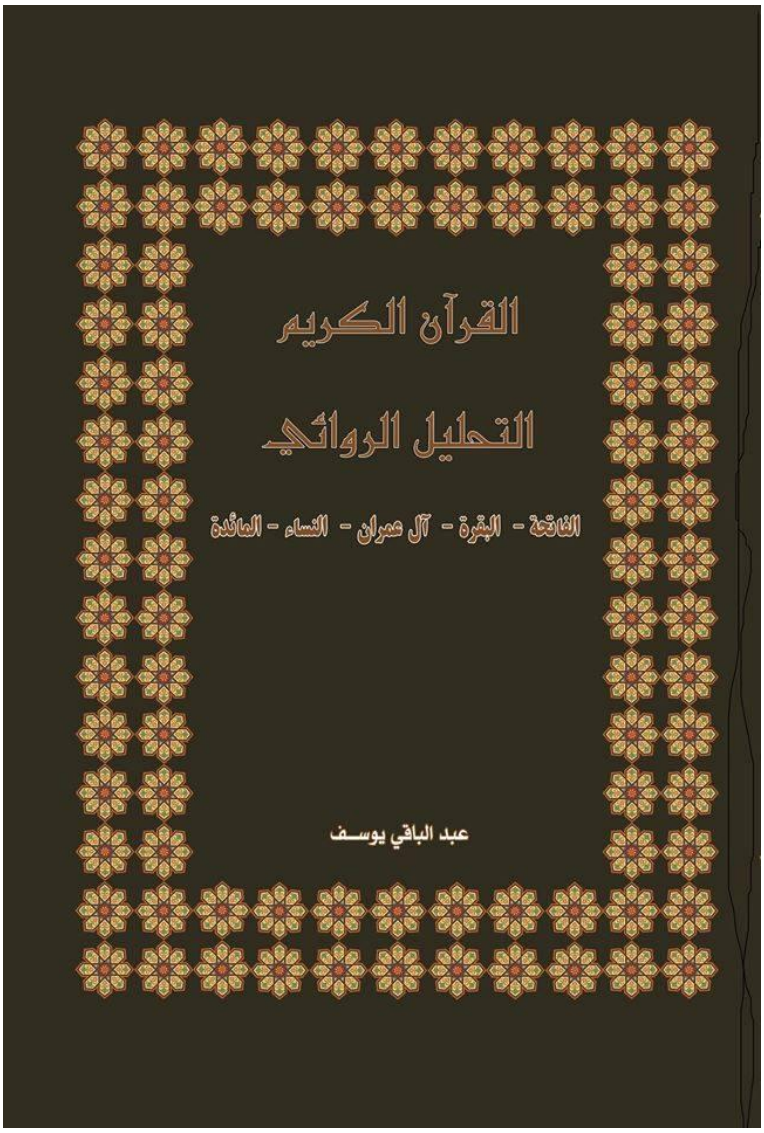
القرآن الكريم
التحليل الروائي
الفاتحة - البقرة - آل عمران - النساء - المائدة
عبد الباقي يوسف

هذا الكتاب، هو جزء من المجلّد الأول من: (التحليل الروائي للقرآن الكريم) لمؤلفه الأديب الروائي عبد الباقي يوسف، والذي صدر في أربيل، كردستان العراق سنة ٢٠١٦

مقدمـــة

تستفتح قراءتـك للقـرآن بفاتحـة القـراءة، وهـي مـدخل إلى قـراءة القرآن الكريم، ورغم قِصَرها، فهي مكتنزة المعاني والـدلالات، وقـد سُميت بـ: فاتحة الكتاب، و سورة الحمد، والواقية، والشافية، والسبع المثاني.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال:بينما (جبريل) قاعد عنـد الـنبي صلى الله عليه وسلم، سمع نقيضا من فوقه، فرفع رأسـه، فقـال: "هـذا باب من السماء فتح اليوم، لم يفتح قـط إلا اليـوم، فنـزل منـه ملـك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض، لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم، وقـال: أبشر بنورين أوتيتهما، لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحـة الكتـاب، وخـواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته"[1].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" ما أنزلت في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في الفرقان، مثلها. وإنها سبع مـن المثـاني، والقرآن العظيم الذي أعطيته "متفق عليه.

---

[1] رواه مسلم وصححه الألباني في صحيح الترغيب و الترهيب / ١٤٥٦

وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لجابر بن عبد الله الأنصاري: "يا جابر، ألا أعلمك أفضل سورة أنزلها الله في كتابه" ؟

فقال له جابر: بلى بأبي أنت وأمي يا رسول الله، علمنيها. فعلّمه الحمد أم الكتاب.

وعن أبي سعيد بن المعلى، قال: كنت أصلي، فدعاني النبي صلى الله عليه وسلم، فلم أجبه، قلت: يارسول الله إني كنت أصلي، قال: "ألم يقل الله: ﴿اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم﴾" الأنفال ٢٤، ثم قال: "ألا أعلّمك أعظم سورة في القرآن، قبل أن تخرج من المسجد" ؟ فأخذ بيدي، فلما أردنا أن نخرج قلت: يارسول الله، إنك قلت: لأعلّمنك أعظم سورة في القرآن.

قال: "﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته" [٢]

كما أن سورة الفاتحة شفاء، ورقية، وقد ورد في الحديث عن أبي سعيد الخدري قال: كنا في مسير لنا، فنزلنا، فجاءت جارية فقالت: إن سيد الحي سليم – لديغ – وإن نفرنا غُيَّب، فهل منكم راق ؟ فقام معها رجل ما كنا نأبنه برقية، فرقاه، فبرأ، فأمر لنا بثلاثين شاة، وسقانا

[٢] صحيح البخاري ، فضائل القرآن (٥٠٠٦).

لبناً، فلما رجع قلنا له: أكنت تحسن رقية، أو كنت ترقي ؟ قال: لا، ما رقيت إلاّ بأم الكتاب.

قلنا: لا تحدثوا شيئاً حتى نأتي أو نسأل النبي صلى الله عليه وسلم، فلما قَدِمنا المدينة ذكرناه للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "وما كان يدريه أنها رقية، اقسموا واضربوا لي بسهم" [٣].

[٣] صحيح البخاري ، فضائل القرآن (٥٠٠٧) .

الباب الأول
بركات البسملـــــة

﴿١﴾

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾

البسملة هي رجاء البركة من الله في أي عمل تقوم بـه، وهـي إيمـان منك بأن الله سبحانه وتعالى هو مصدر البركة، والمُبَسمِلُ يُبَسمِلُ باسم ربه لأنه مؤمن أن العمل الذي لايكون مُباركاً من الله، يكـون منـزوع الخير، وبالتالي يكون بارداً، وباهتاً، لارونق فيه، لا يبتهج بـه صـاحبه، ولا يبتهج به الناس.

البسملة هنا هي مباركة الله تعالى للعمل الذي ينجزه الإنسان، فهـو عملٌ تأسس على اسم الله، ورجا صاحبه في مستهل القيام به بركة الله تعالى لعمله هذا.

لذلك فإن البسملة هي مفتتح السورة الأولى من القرآن، كمـا أنهـا الآية الأولى من السورة الأولى في المصـحف الـذي نقـرأه، وهـي مـرة واحدة في سائر القرآن الكريم، حيث لاتُشكّل البسملة لوحـدها آيـة مستقلة في أي سورة أخرى، رغم أنها تُقرأ في مستهل كل سورة عـدا سورة التوبة، بيد أنها لاتُشكّل آيـة، وربمـا يكـون ذلـك لأن القـارئ

يكـون قـد أعـدّها آيـة مسـتقلة في مسـتهل قـراءة القـرآن، ولـذلك لاتُحسب في السور التالية على أنها آية، ولكنها ذُكرت مرة ثانية فقط ، لكن ضمن الآية ٣٠ من سورة النمل: ﴿**إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّـهُ بِسْـمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾ دون أن تكون آية مستقلة.

فأول ما يقع نظرك من كتـاب ربـك، وأنـت تسـتفتح قـراءة الآيـة الأولى، من السورة الأولى، البسملة المباركة، التي هـي فاتحـة الكتـاب كآية، ثم هي فاتحة كل سورة من سـور القـرآن الكـريم، عـدا سـورة التوبـــة، ليست كآية.

وهذا من شأنه أن يبث إليك شعوراً أوليـاً بأنـك تلـج مـتن القـراءة التدبريـــة، مسـتعيناً باسـم ربـك، الـذي ييسـر لـك مكرمـــة تلقـي القراءة، التي لا يتلقاها إلاّ القارئ المتدبر، بمـا ييسـر لـه الله مـن هـذه المزية.

انظر إلى كل حرف من حروف البسملة التسعة عشـر، الـتي ميزهـا الله بمرتبة أن تكون الآية الأولى من كتابه الحكيم، تأمّل لفظ الجلالـــة، انظر جمالية تنسيق الكلمات الأربع.

كل تأمل، كل نظرة، كل قراءة تحقق حـلاوة: ﴿**بِسْـمِ اللَّهِ الـرَّحْمنِ الرَّحِيمِ**﴾.

لم يرشدك الله لتقول: بسم الله، فقط. أو: بسم الله الرحمن، فحسب. رغم أن الرحمن أشمل في سعة الرحمة من الرحيم، ذلك أن الرحمة العالمية الشاملة للناس جميعاً: مؤمنين وكفاراً، تتحقق في – الرحمن – وهو أول اسم من أسماء الله الحُسنى بعد لفظ الجلالة، في حين أن – الرحيم – تقتصر رحمته على المؤمنين فقط، دون أن تشمل مَن هم دونهم، وهي إشارة أولى بأن الناس جميعاً – على مختلف معتقداتهم – يحتاجون إلى رحمة الله بالدرجة الأولى، ولهم أولوية الرحمة من ربهم: ﴿**الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**﴾الحشر٢٢، وهي إشارة للناس بأن يتراحموا فيما بينهم، ويتحابوا، ويتسامحوا، وهم يشكلون في نهاية الأمر حلقة العائلة الإنسانية المشتركة، على مختلف مشاربهم ومآربهم وألوانهم وقومياتهم وألسنتهم، وهذا ما تغتني وتمتاز به العائلة الإنسانية.

الرحمن، ذروة الرحمة الواسعة، التي من شأنها أن تسع كل شيء، تسع السموات والأرض، وما بينهما، تشمل ذنوب الإنسان، حتى لو كانت كزبد البحر، وهي رحمة تتسع لا لتغفر الذنب فقط، بل تتجاوز ذلك لتحيل الذنوب إلى حسنات، فبها يستبدل الله ذنوبك حسنات، فيتحول كل ذنب من ذنوبك برحمة الرحمن إلى حسنة، وكلما كانت ذنوبك كثيرة، غدت حسناتك أكثر.

وهذا من شأنه أن يجعل شخصاً يعتقد بأنه سيكون من أهل الجنة، وذلك لأنه اهتدى بهدي الله، واستغفر لذنبه، فيكون لسان حال هذا الشخص بأن الله إن استبدل كل تلك الذنوب العظيمة حسنات، ستكون في كفته حسنات راجحة في ميزان الحساب، وهو قد آب، وهداه الله الصراط المستقيم.

وهذا بذاته يجعل باب التوبة مشرعاً أمام أولئك الذين ثقلت بهم ذنوبهم، فانتبهوا في لحظة هدي مباركة، وتابوا عمّا قد سلف، وفتحوا صفحة جديدة من صفحات حياتهم، وتحولوا إلى أناس صالحين نافعين في المجتمع، سواء من صميم ملة الإسلام، أو من خارجه.

هؤلاء الذين شعروا بأن الإسلام يجعلهم يتخلون عن ماضيهم المقيت، ويجعلهم أناساً صالحين متزنين، متصالحين ومتسالمين مع أنفسهم، فيدخلون ملة الإسلام، التي ترحب بأي دالف إليها برحمة الرحمن رب العالمين، وهم يدلفون إلى الإسلام، لا لحاجة الإسلام إليهم، أو لأنهم يبتغون تقديم نفع للإسلام، بل لأنهم لمسوا حاجتهم القصوى إلى الإسلام، وأنهم وجدوا في الإسلام ما احتاجوا إليه.

هنا يمكنك أن تتأمل عظمة وسعة الرحمة، التي لا موضع لليأس بها، مهما اتسعت رقعة ذنوب الإنسان.

ورد في صحيح البخاري: حدثنا عمر بن حفص، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، سمعت أبا صالح، عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منهم.

إذا تقرب إلي العبد شبراً، تقربت إليه ذراعاً، وإذا تقرب إلي ذراعاً، تقربت منه باعاً، وإذا أتاني ماشياً، أتيته هرولة " رواه البخاري ومسلم.

ومما يقوله النبي صلى الله عليه وسلم في هذا التوجه : " ادعوا الله تعالى، وأنتم موقنون بالإجابة"رواه الترمذي.

ولعلي أذكر هنا أنه عندما ترك المنافقون النبي وأصحابه في (غزوة أحد)، قال الله عنهم:﴿**وطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ**﴾ آل عمران١٥٤.

وعن المنافقين والمشركين، يقول عز من قائل: ﴿**الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ**﴾الفتح ٦.

ولذلك، فإن التائب عن ذنبه، إضافة أنه يكون كمن لا ذنب له، فإنه يظفر بحسنات لم يفعلها، ولم يبذل جهداً ولا طاعة بها، وما ذلك إلاّ لفرحة الله بأوبة هذا العبد إلى ربه تائباً خاشعاً يلتمس المغفرة عمّا

قد سلف ذارفاً دموع الندم مدراراً، وهو يتوسل إلى بارئه أن يصفح عنه، فمهما بلغت ذنوب العبد من عظمة، فإنها لاتفوق سعة رحمة الله، ولا تملك سوى أن تخضع لرحمة الله، بل تتحوّل إلى حسنات كذلك يُجازى بها ذاك المذنب، لأنه توسل إلى الله نادماً دون أن يقنط من رحمة ﴿**الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ**﴾.

إن وجه القراءة التدبرية للآية الأولى في التنزيل الحكيم، يبث إليك إشارة كي تصفح عن أولئك الذين تجاوزوا على حدودك، تصفح عمّن شتمك، عمّن سبّب لك أذى، حينما يأتيك معتذراً طالباً الصفح، فلا يكون قلبك قاسياً: ﴿**كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً، وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ، وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾البقرة٧٤.

فتتعلّم كيف تتجاوز عن أخطاء الناس، لأنك تسأل الله أن يتجاوز عن أخطائك، فكيف تسأل الله أن يتجاوز لك عن أخطائك، وأنت تُعاقب الذين أخطأوا بحقك، ولا تتجاوز لهم عن كبيرة أو صغيرة، تفزعهم في بيوتهم، تطرق عليهم أبوابهم في أوقات غير مناسبة، تحرجهم أمام عوائلهم وأمام الناس، تُدخلهم السجون، تستفزّهم، وأنت في الوقت عينه تسأل الله أن يسترك، ويعفو عنك، ويُبدّل تجاوزك على حدوده بحسنات.

﴿الرَّحْمنِ﴾ الذي يرحم وبذات الوقت يُعلّم الناس كيف يتراحموا فيما بينهم، وقد اقتصر ﴿الرَّحْمنِ﴾ على الله وحده لأن الإنسان يمكن له أن يكون رحيماً، لكنه لا يستطيع أن يكون رحماناً، لذلك أبقى الله عزّ وجل هذا الاسم لذاته، ولم يصف به أحداً من عباده، حتى الأنبياء منهم، وعندما شاء جلّ جلاله أن يصف نبيه، لم يقل رؤوف رحمن، بل قال: ﴿رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٤]

بل حتى من تجرأ واتخذ له اسم ﴿الرَّحْمنِ﴾، فقد جعله الله كذاباً، كما الأمر بالنسبة لـ(مسيلمة)، الذي لُصقت به صفة الكذب، لأنه تجرأ وتجاوز على هذا الحد، وقال بأنه رحمن، فلا يُقال: مسيلمة، حتى يُقال: الكذاب.

فالإنسان يجوزله أن يكون رحيماً، كما يصفه الله، وهي رحمة إنسانية محضة، بيد أنه لا يمكن له أن يكون رحماناً، بأي مقياس من المقاييس، وذلك لشمولية معاني ودلالات هذا الاسم، المقتصر على الله وحده عزوجل.

يمارس الإنسان الرحمة في سلوكه اليومي، وفق المقياس البشري، والطاقة والمقدرة البشرية على الرحمة، فيقال كما في الأثر:"مَن لا

[٤] ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾التوبة١٢٨.

يَرحم لا يُرحم". مَن لا يَرحم نفسه، ولا يَرحم غيره، لا تستوجب له رحمة الله، وعندما تكون الرحمة بين الناس في الأرض، تحل عليهم رحمة الله من السماء، فالذي تُعرف عنه مواقف الرحمة يأمنه الناس، ويتوسمون فيه الخير، لأن في قلبه بركات من رحمة الله، يرحم بها الناس بالتسامح، والعطية، والصلح، والمحبة. وعلى الأغلب، فإن وجه هذا الإنسان الرحوم يستنير بما بث الله إلى فؤاده من أنوار رحمته، فيمسي وجهه مناراً، كما لو أنه مصباح إلهي. لقد أكرمهم الله، فعبروا عن شكرهم لله، بأن أكرموا الناس، وأحسنوا إليهم، وغدوا أصحاب فضل وفضيلة بين الناس.

تؤدي البسملة، كذلك، وظيفة الفاصلة بين السور القرآنية، فعندما تنتهي من السورة، تبدأ بـ: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾

في قراءة السورة التالية، فتكون مفتاح كل سورة، تفتح بها باب الولوج إلى قراءة السورة الجديدة.

إذا تأملت في ذلك، سيتجلى لك: بأنك دون رحمة الله، ستقرأ القرآن دون أن تبلغ شيئاً منه، ودون أن يصيبك شيء من هديه، فالرحمن برحمته الواسعة، التي وسعتك ووسعت كل ما أنت به من ذنوب، يسّر لك أمر القراءة، وأمر تلقي جوانب من مدلولات هذه القراءة، التي تستنير بها ظلمات نفسك. وقد أخرج (الحاكم) في

(مستدركه) ما رواه (أبو داود) بإسناد صحيح: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف فصل السورة حتى ينزل عليه: بسم الله الرحمن الرحيم.

ونظراً لمنزلة البسملة، فقد أوصى النبي بها في قوله: "كل أمر لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم، فهو أجزم".

وقد روى (مسلم) في قصة عمر بن أبي سلمة – ربيب النبي صلى الله عليه وسلم – أنه قال: "قل: بسم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك".

وفي رواية الفريقين، يقول صلى الله عليه وسلم: "كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله، فهو أبتر".

قال القرطبي: (رحمن الآخرة ورحيم الدنيا. وقال الضحاك: لأهل السماء والأرض. وقال عكرمة: برحمة واحدة وبمائة رحمة. وقال المزني: بنعمة الدنيا والدين. وقال العزيزي: الرحمن بجميع خلقه في الأمطار، ونعم الحواس، والنعم العامة، الرحيم بالمؤمنين في الهداية لهم واللطف بهم، وقال المحاسيي: برحمة النفوس ورحمة القلوب. وقال يحيى بن معاذ: لمصالح المعاد والمعاش. وقال الصادق: خاص اللفظ بصيغة عامة في الرزق، وعام اللفظ بصيغة خاصة في مغفرة المؤمن. وقال ثعلب: الرحمن أمدح، والرحيم ألطف، وقيل: الرحمن المنعم بما لا

يتصور جنسه من العباد، والرحيم المنعم بما يتصور جنسه من العباد. وقال أبو علي الفارسي: الرحمن اسم عام في جميع أنواع الرحمة، يختص به الله، والرحيم إنما هو في جهة المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾الأحزاب٤٣).

عن عبد الكبير بن المعافى بن عمران، عن أبيه، عن عمر بن ذَرّ، عن عطاء بن أبي رباح، عن جابر بن عبد الله، قال:(لما نزل ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ هرب الغيم إلى المشرق، وسكنت الرياح، وهاج البحر، وأصغت البهائم بآذانها، ورُجِمت الشياطين من السماء، وحلف الله تعالى بعزته وجلاله ألا يسمى اسمه على شيء إلا بارك فيه).

وعن الإمام أحمد بن حنبل في مسنده:(حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عاصم، قال: سمعت أبا تميمة يحدث، عن رديف النيي صلى الله عليه وسلم قال: عثر بالنيي صلى الله عليه وسلم، فقلت: تَعِس الشيطان. فقال النيي صلى الله عليه وسلم: "لا تقل تعس الشيطان. فإنك إذا قلت: تعس الشيطان تعاظم، وقال: بقوتي صرعته، وإذا قلت: باسم الله، تصاغر حتى يصير مثل الذباب").

وهي فاتحة خير، يُستحب أن يفتتح بها الإنسان كل أمر هو مقبل عليه، فهي تضفي البركة على نتائج ما يقوم به الإنسان. وذكر الله

يجنّب الشيطان، وما يمكن لـه أن يوسـوس بـه، ومـن شـأنه أن يكـون حصانة للإنسان، كي يقوم بعمله بشكل جيد، وبالتالي يلقى نتائج هذا العمل الذي بدأه واستفتحه باسم ربه، ويشمل ذلك حتى الجماع، لأن المرء عندما يعاشر حليلته، فإن نتيجة ذلك تكون الـولادة بمشـيئة الله، ولذلك أوصى النبي بالبسملة عند الجماع. ففي روايـة للشـيخين عـن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قال: " لـو أن أحـدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشـيطان، وجنّـب الشـيطان مـا رزقتنا، فإنه إن يُقدّر بينهما ولد، لم يضره الشيطان أبداً".

وفي الحـديث القدسـي، قولـه تعالى:(أنـا الـرحمن، خلقـتُ الـرحم، وشققتُ لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومـن قطعهـا قطعتـه). أخرجه الترمذي، وصححه عن عبد الرحمن بن عوف.

الباب الثانـــــي

صاحـــــب الحمـــــد

﴿٢﴾
﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

تفتتح قراءتك لسور القرآن بفاتحة سوره، التي تكون لك معيناً لتلّقي ما ستقرأ من سور، حتى تبلغ ختمة القرآن.

إنك تعبر عن حمدك وشكرك لله الذي أنزل هذا الهدى، وأكرمك بقراءته، لتستنير به ظلمات نفسك، والحمد هو شكر، وما هو أبعد من الشكر في ذات الوقت، فأنت تشكر الذي يُقدّم لك نفعاً، فتقول له: شكراً لك، لكنك لاتقول له: حمداً لك. ذلك أن الحمد هو خاص بالله، لأن لاأحد يستحق هذه الدرجة العليا من الحمد سوى الله، كون ما يعطيه الله تعالى لك، لايمكن لأي إنسان– مهما بلغت درجة قربه

ومحبته لك– أن يُعطيه لك، لأن ما يمكنه أن يُعطيه لك، إنما هو من الله الذي قد أعطاه إياه. في حين أن الله يملك خزائن كل شيء، ويعطي بلاحساب.

لكن الإنسان يشكر الله أيضاً، وإذا نظرتَ إلى سائر آي التنزيل الحكيم، ترى بأن الشكر على الأغلب يكون على نِعَمٍ ينعَم بها الله على الإنسان مثل: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾الأعراف٥٨ ﴿وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾إبراهيم٣٧﴿لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾يس٣٥﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾يس٧٣ لكن الحمد يكون فيما هو أعم وأشمل مثل: ﴿الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ﴾الأنعام١

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ﴾الأعراف٤٣﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾يونس١٠﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ

﴿وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً﴾الإسراء١١١﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا﴾الكهف١﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾المؤمنون٢٨﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾سبأ١﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾فاطر١﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾غافر٦٥ . فالحمدّ أكثر سِعة من الشكر، ويكون مقتصراً لله الذي يعطي ما لايمكن لغيره أن يُعطيه، فإن حمدتَ، فذلك يعني بأنك شكرتَ في العين ذاته، بينما إن شكرتَ، فذلك لايعني أنك حمدتَ أيضاً، فالشكر لله يكون على أشياء، بينما الحمد لله يكون على كل شيء، ولذلك لاأحد يستحق الحمد، لأن لاأحد يمكن له أن يعطيك كل شيء، فالأمر هنا: أيها الإنسان الذي أعطاك ربك كل شيء ممّا تنعم به، احمده وقل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

يأتي لفظ الجلالة بعد الحمد، دون اسم من أسمائه الحسنى، ذلك أن هذه الأسماء الحسنى مصدرها لفظ الجلالة: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾الأعراف١٨٠.

إن قراءتك المتأنية لمعاني ودلالات قراءة البسملة، جعلتك تقبل على حمد الله، ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. ومعنى لفظ الجلالة الله يعني: المألوه، المعبود حباً وتعظيماً. والرب هو مَن جُمعت فيه ثلاثة أوصاف: الخلق، والملك، والتدبير.

لم تقل: الحمد لربي ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ رب العالمين، بل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ذلك أن الله هو ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وهذا يشمل كل خلق خلقه الله، فعندما ترى حيواناً، تدرك بأن الله ربه، وكذا عندما ترى نباتاً، أو جماداً. الرب بمعنى السيّد، والملك، والثابت، والمعبود، والمصلح. فعندما تقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. يعني ذلك أنك استجبت لأمر ربك الذي دعاك أن تحمده حمدا، فقد قال لك: قل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾وأنت استجبت لأمر ربك فقلت: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾وهذا يعني إيمانك بالله وقبولك لكل ما يأتي منه، ولذلك فلا تكتفي بالحمد في المنافع فقط، بل تحمده حتى في المصائب التي تقع عليك، فتكون حامداً لله على كل حال.

ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم لك الحمد، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، والساعة حق، ومحمد

حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت. فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت إلهي لا إله إلا أنت"[٥].

عن حذيفة بن اليمان أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنّ القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتماً مقضياً فيقرأ صبيّ من صبيانهم في الكتاب ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة".

إن الحمد هو لله وحده، ذلك أنه صاحب الفضل على الخلق جميعاً. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم لك الحمد كله، ولك الملك كله، ولك الخلق كله، وإليك يرجع الأمر كله، أسألك من الخير كله، وأعوذ بك من الشر كله" (رواه البيهقي في السنن).

تدرك هنا مساواة خلق الله جميعاً في عبادة الله، فكما أن الناس جميعاً هم عيال الله، فإنها أرض الله التي تأوي عياله.

وفي الحديث عن (أنس بن مالك) رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة، فيحمده عليها، أو يشرب الشربة، فيحمده عليها" [٦].

---

[٥] رواه البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس

[٦] صحيح مسلم ،كتاب الذكر(٢٤٣٧).

وحتى لا تنسى، تذكرك الآية بـ ﴿الله الرحمن الرحيم﴾، كما قرأت في البسملة، فيأخذ ذلك شيئاً من الترسيخ في نفسك، فمعرفتك الأولية لله هي أنه ﴿الرحمن الرحيم﴾، هكذا أخبرتك البسملة، التي هي فاتحة، فاتحة الكتاب الحكيم.

الباب الثالـــث
سِعــةُ الرحمـــة الإلهيـــة

﴿٣﴾
﴿الرَّحْمـنِ الرَّحِيمِ﴾

الرحمة هنا لمن يملك مقومات ما يرحم، فإن قلت عن شخص بأنه كريم بالمقياس الإنساني، فذلك يعني أنه يملك ما يمارس من خلاله خصلة الكرم، فالذي لا يملك شيئاً ليس بوسعه أن يمارس الكرم – ولله المثل الأعلى –وقد جاء ﴿**الرَّحْمـنِ الرَّحِيمِ**﴾

مرتين، مرة في البسملة، وكآية مستقلة هنا، ففي البدء:﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ**﴾

بيان للإنسان بأن الله جل ثناؤه هو ﴿**الرَّحْمـنِ الرَّحِيمِ**﴾

ثم ﴿**الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ حمدُ ﴿**اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ**﴾ الذي هو﴿**رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ و ﴿**رَّحْمنِ**﴾ بـ ﴿**الْعَالَمِينَ**﴾ بصفة عامة سواء أكانوا مؤمنين، أو غير مؤمنين، فلولا رحمة الله، لَما تحوّل غير المؤمن إلى مؤمن، فهو برحمة الله يُصبح مؤمناً، كونه ﴿**رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ على مختلف مشاربهم ومآربهم، ثم ﴿**رَّحِيمِ**﴾ هنا تقتصر رحمته على المؤمنين، فهو تبارك وتعالى ﴿**رَّحْمـنِ**﴾ بالناس كافة مؤمنين وغير مؤمنين، ثم ﴿**رَّحِيمِ**﴾ بالمؤمنين الذين آمنوا به وعملوا الصالحات. فإذن كل

إنسان يحتاج أول الأمر إلى ﴿الرَّحْمـنِ﴾ حتى تصـيبه الهدايـة بالرحمـة المشمولة، ثم يحتاج إلى ﴿الرَّحِيمِ﴾ كمؤمن بالله.

﴿٤﴾
﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

يخبرك الله بأنه ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، إنها ملكية مطلقة، ليس لِمـا في الدنيا فحسب، بل لِما في الآخرة، و﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾، هـو يـوم الجـزاء، فهو يجازي الناس برحمته في الدنيا والآخرة، فتبلغك إشارة بأن رحمة الله لا تكون في الدنيا فحسب، بل تكون في الآخرة كـذلك، فـأخبرك الله بأنه ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. اليوم الذي لاينفع الإنسان فيه سوى الـذي يملك التصرّف كيفما شاء في ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾. وكان ابن عبـاس رضـي الله عنهما يقول عن ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾:(قاضي يوم الحساب).

الرحمة هنا لمن يملك خزائن كل شيء، لمن هو بالغ القـوة والجـبروت والمقدرة على الرحمة، يملك أن يهب كل شيء، كما يملـك أن يحجـب كل شيء، ومن يملك ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾، لا يتحقق له ذلك قبل أن يكـون مالكاً يوم الدنيا من قبل. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "يقبض الله

تعالى الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملـك، أين ملوك الأرض" [٧]. فلا مالك، ولا ملك، ويتفرّد الله بأنه مالك ذلك اليوم العظيم: ﴿**الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْماً عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيراً**﴾الفرقان٢٦، ﴿**يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**﴾غافر١٦.

﴿٥﴾
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

تزهو إشراقة شكر وإيمـان وطمأنينـة في نفسـك، حتـى تقبـل علـى عبادته عن طوع، فتقول: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾

وحدك ربنا، ولا أحد غيرك نعبد. و: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾، تدفع الرياء. ثم تردف: ﴿**وإياك نستعين**﴾، وهـي تـدفع الكبريـاء. نسـتعين بـك ربنـا لقضاء حوائجنا، ولانستعين بغيرك، فكما أننا نعبدك، ولانعبـد غـيرك، فإننا نستعين بك، ولانستعين بأحد غيرك. العبودية هنا هي مرتبة عليـا من الله على الإنسان، فعندما يعبد الإنسـان ربـه، فـذلك لايكـون إلاّ

[٧] صحيح مسلم ، كتاب صفات المنافقين (٢٧٨٧)

بهداية الله له، فانظر كيف يمدح الله تعالى حبيبه ومصطفاه عليه الصلاة والسلام:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾الكهف ١ ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً﴾الجن١٩ ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلا﴾ الإسراء ١

تلمس هنا تحرراً من الاتكال على غير الله، والخوف من غير الله، وذلك يحقق علاجاً من أمراض الكبرياء، والعجب بالنفس، أو بالآخرين.

العبادة تُرسّخ الإنسان في الإيمان، وتكون حصانة له في ما يلقاه من أذى الناس:

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ* وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ الحجر ٩٧-٩٩

الباب الرابـــــع
المُنعَم عليهـــم

﴿٦﴾

﴿اهدِنَـــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾

تستعين به كـي يهـديك: ﴿الصِّـرَاطَ المُسـتَقِيمَ﴾، لأن الإنسـان لا يحظى بنعمة هدايته إلى ﴿الصِّرَاطَ المُسـتَقِيمَ﴾، إلاّ إذا أنعـم الله تعـالى عليه، وهذا يشير بأن الإنسـان دون هدايـة الله، إنمـا هـو سـائر علـى صراط ملتو، فلا يطلب الهدايـة إلى ﴿صِّـرَاطَ﴾﴿مُسـتَقِيمَ﴾، إلاّ ذاك الـذي يكـون علـى ﴿صِّـرَاطَ﴾غـير ذي اسـتقامة، فلـو كـان علـى ﴿صِّرَاطَ﴾﴿مُستَقِيمَ﴾ لقال: ثبتنا على ﴿الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس: "يـاغلام إنـي أعلمـك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بـالله". (رواه أحمـد والترمـذي). فالصـراط المستقيم هو صراط الله الذي هو كله خير: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْـتُ عَلَـى اللّـهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّـي عَلَـى صِـرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾هود٥٦.عن النبي صلى الله عليه وسلم: "لبيـك وسـعديك، والخير كله بيديك والشر لـيس إليـك". وقـد بـيّن الله تعـالى صـراطه

المستقيم في الإسلام، وتكلل هذا البيان الإلهي واكتمل بنزول القرآن الذي يهدي إلى صراط الله المستقيم.

﴿٧﴾
﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾

اجعلنا اللهم برحمتك على ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾ من قبلنا﴿أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾ بأن هديتهم ﴿الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ فاستقام بهم المسار، ولاتجعلنا من﴿المَغضُوبِ عَلَيهِمْ﴾ لأن غضبك علينا يُجنّبنا رحمتك، ولاتكلنا إلى نفوسنا يارب، فنكون دون رحمتك من﴿الضَّالِّينَ﴾ الذين يضلّون عن صراطك ﴿المُستَقِيمَ﴾ ويلتوي بهم المسار.

قال: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾ولم يقل غَيرِ الذين غضبتَ عليهم، بل﴿غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ﴾ فالنعمة هنا هي خالصة من الله،﴿أَنعَمتَ﴾أنت يا رب ﴿عَلَيهِمْ﴾لكن ﴿المَغضُوبِ عَلَيهِمْ﴾ الذين لم ينعم عليه الله بنعمة الهداية إلى ﴿الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ يكون من ﴿المَغضُوبِ﴾ لأن نقيض ﴿الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ هو ﴿الصِّرَاطَ﴾ الملتوي، والذي يمضي فيه لايكون كالذي يمضي على ﴿صِرَاطٍ

مُّسْتَقِيمٍ﴾: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾الملك٢٢ فذلك يمضي في الطرق الوعرة والمنحدرات، وبذلك يكون مضطرباً على الدوام عكس الذي يمضي بثقة كما لو أنه ملك على الصراط المستقيم. ثم أن ﴿المَغضُوبِ﴾ عليه يرى كل شيء في حالة غضب عليه، ذلك أنه هو ذاته قد غضِب على نفسه بأن قادها إلى تلك المنعرجات الوعرة، فيكون مغضوباً عليه من الجميع، من أبوَيه، من أخوته، من زوجه، من أبنائه، من أقربائه، من جواره، بل حتى من نفسه التي تكون غاضبة عليه، فترى هذا الشخص مضطرباً محتقناً على الدوام كما لو أنه يقعد على لغمٍ موقوت، وهنا تبدأ معاناته مع الاضطرابات النفسية المتصاعدة، مع الوساوس، مع الأوبئة الروحية، وهو يعيش في واقع يتجرّع فيه مرارة ﴿المَغضُوبِ﴾ عليه من كل شيء، فحتى رشفة الماء يمكن لها أن تستفزّه، حتى لقمة الطعام، وهنا يفقد حتى التلذذ بالطعام، أو الشراب، أو متعة الإيواء إلى الفراش، لأنه سيدخل في صراع حتى يغفو، وعلى الأغلب يستعين بأدوية مهدئة، أو النهوض بإشراقة في الصباح، لأن أحلامه تكون عبارة عن كوابيس مفزعة، ينتفض منها بأنفاس متقطّعة.

فعندما يقول الله ﴿المَغضُوبِ عَلَيهِمْ﴾ علينا أن نُدرك أن هؤلاء يُعانون هذه المعاناة المتفاقمة ويتجرّعون علقمها لحظة بلحظة، حتى

ترى الغضب بادياً في سحناتهم، وفي أصواتهم، وفي حركاتهم، فأولئك هم ﴿**المَغضُوبِ عَلَيهِمْ**﴾ فلم يقل الله جل شأنه غير الذين غضبتَ عليهم، لأن هؤلاء هم الذين أغضبوا حتى فطرة الإنسان فيهم، فكان عليهم أن يواجهوا الغضب بالغضب. يتوسل المؤمن إلى ربه متضرعاً: اللهم لاتجعلني من ﴿**المَغضُوبِ عَلَيهِمْ**﴾ ولاتجعلني ربي من ﴿**الضَّالِّينَ**﴾ الذين يضلّون عن الحق.

الأمر الآخر الذي أقوله لك، هو أن الذين يكونون على ﴿**الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**﴾ وينعم الله عليهم، لايعني ذلك أنهم أصبحوا في مأمن، وأن كل شيء بات على ما يرام، فلعل أحد هؤلاء يرى ذات الكوابيس، أو يعاني بعض تلك المعاناة، هنا عليه أن يُراجع ذاته ويبحث عن الأسباب التي تؤدّي به إلى ذلك، فالنعمة تحتاج إلى تقديرها، والحفاظ عليها، فإن وهبك الله أبناءً، لكنك فشلتَ في تربيتهم، فذلك يعني بأنهم سيسببون لك الأذى، وإن رزقك الله بزوجة صالحة، لكنك أسأت التعامل معها، فذلك يُسبب لك أذى، وكذلك إن رزقك الله بمال، بيد أنك أسأت استخدام هذا المال، فيتحوّل عليك إلى نقمة، بل حتى أسنانك، إن تركت بقايا الطعام فيها، ولم تنظفها، ستسبب لك آلاماً، وقس هذا على أمراض الكبد، أو الكلى، أو القلب، أو المعدة، فنعمة الله تدوم عليك إذا حافظت عليها، وقدّرتها، وأحسنت

استخدامها، ولذلك يُقال: (بالشكر تدوم النِعَم) والشكر هنا هو تقدير النِعمة، والحفاظ عليها، وتجنّب تبذيرها.

ثم تقول: (آمين)، سائلاً الله عز وجل الاستجابة، وهي ليست آية، ولا جزءاً من آية، تلفظها دون كتابتها في المصحف. و (آمين)، لايقتصر قولها في نهاية الفاتحة فقط، بل عند كل دعاء. وهي كمن يقول في نهاية الدعاء: اللهم أسألك الاستجابة لدعائي.

الفاتحة، كنز من كنوز عرش الرحمن، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن الله:

(أعطيت لك ولأمتك كنزا من كنوز عرشي: فاتحة الكتاب، وخاتمة سورة البقرة).

بذلك فقد تميزت هذه السورة المباركة بأنها من أكثر سور القرآن الكريم قراءة في الناس، ذلك أنها تُقرأ مع كل ركعة من الصلوات، ويستعين بها الناس في مختلف مناسباتهم.

جاء في حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال الله تعالى: (قسمت الصلاة بيني وبن عبدي نصفين، إذا قال: ﴿**الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿**الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ**﴾ قال الله تعالى: أثنى عليّ عبدي، وإذا قال: ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾، قال الله تعالى: مجدّني عبدي، وإذا قال: ﴿**إِيَّاكَ**

﴿نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ، قال الله تعالى: هذا بيني وبين عبدي نصفين، وإذا قال: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُستَقِيمَ﴾، قال الله تعالى: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل

إذا نظرنا إلى هذا التقسيم، سيتبين لنا أن الآيات الثلاث: ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾، ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، هي لله . والآية: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ هي الوسط بين الله وبين العبد. ثم تأتي الآيتان الأخيرتان، وهي للعبد: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُستَقِيمَ﴾، ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ الْمَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾.

يقول الإمام أحمد في مسنده:(: حدثنا الحسن بن سوار أبو العلاء، حدثنا ليث يعني ابن سعد، عن معاوية بن صالح: أن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، حدثه عن أبيه، عن النواس بن سمعان، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ضرب الله مثلا صراطًا مستقيما، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس، ادخلوا الصراط جميعا ولا تعوجوا، وداع يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئًا من تلك الأبواب، قال: ويحك، لا تفتحه" فإنك إن تفتحه تلجه. فالصراط الإسلام، والسوران حدود الله، والأبواب المفتحة

محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم".

سورة مترابطة، متكاملة، أولها رحمة، وأوسطها هداية، وآخرها نعمة.

عندما يبلغ الإنسان ﴿**الصِّرَاطَ الْمُستَقِيمَ**﴾، فإنه يبلغ الطمأنينة، وليس من سبيل إلى الطمأنينة الروحية، سوى سبيل﴿**الصِّرَاطَ الْمُستَقِيمَ**﴾.